الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 13) – 1992 – 1413

ارشيو نشريات
جامعة تخصصي دارالحد
٢١٤٣٨

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

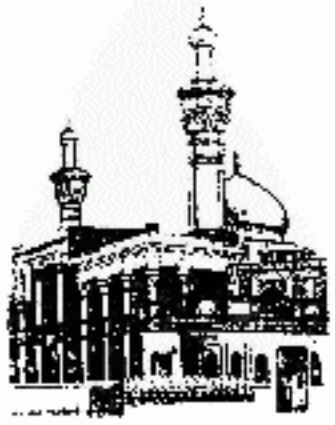

مشهد الامام الحسين بحلب

«لمحة تاريخية»

الدكتور : محمد حريثاتي

عند مدخل مدينة حلب إلى اليمين ، على السفح الشرقي المطل على هذه المدينة التاريخية العريقة من الغرب يطالعك جبل الجوشن ، وهو يحتضن مشهد سيد الشهداء الإمام الحسين ابن علي . وهو يشرف على المدينة التي عاشت بعض مأساته ، بقلعتها الشامخة ، ومآذنها الباسقة ، وأبنيتها التاريخية المتوزعة . يضاف إلى ذلك شريط هندسي أخضر ينساب بينهما ، فيضفي على المكان سحراً خاصاً ، يزيده روعة وجمالاً . وقد دعيت هذه المنطقة الخضراء قديماً بـ «أرض العقيقة» نظراً للونها المتميز .

وللأوابد والأبنية الدينية المشيدة تخليداً للأحداث الهامة والمناسبات الكبرى عبر التاريخ وقع كبير في نفوس الشعوب ، وأثر بارز في سيرة حياتهم وكثيراً ماكانت تؤدي إلى تحولات ومنعطفات في مجرى الحضارة الإنسانية ، سواء أكانت هذه الصُّرُح ذات طابع ديني أو إنساني .

وكثيراً مايتحول هذا النوع من الأبنية إلى محافل للناس، يجتمعون فيها لإحياء المناسبات الدينية والذكريات التاريخية . فتنغرس أحداثها في حياتهم ونفوسهم ، وتعُمّ شهرتها الآفاق ، رتضدو قبلة أنظار المؤمنين في غدوهم ورواحهم .

ولعل من أبرز هذه الأبنية في سورية وأكثرها شهرة «مشهد سيد الشهداء الحسين عليه السلام» والذي يقترن إسمه بذكرى كربلاء الأليمة . وقد شيد هذا البناء الديني في المكان الذي وضع عليه رأسه الشريف في إحدى مراحل نقله إلى يزيد بن معاوية بدمشق .

والمشهد في اللغة : المجتمع من الناس . جمعها «مشاهد» وهي المواطن التي يجتمع الناس فيها . أو هو مكان إستشهاد الشهيد ، أو الإجتماع على ذكر إستشهاده .

ولقد تعرَّض كثير من المؤرخين في حديثهم إلى بناء مشهد الإمام الحسين عليه السلام في أثناء حديثهم عن شيعة حلب أو عن الأمير سيف الدولة . وفي الإحتفالات التي كانت تقام فيه . ولعل الشيخ كامل الغزي ـ صاحب كتاب «نهر الذهب في تاريخ حلب» ـ أكثر المؤرخين دقة وتفصيلاً في تاريخ البناء ووصفه ، وفي كل ماله علاقة به ، ومما قاله :

«. . . أما مشهد الحسين فهو في سفح جبل الجوشن. وعن يحي بن أبي طي[1] في تاريخه أن راعياً إسمه عبد الله يسكن في درب المغاربة ،

---

(١) هو يحي بن حميدة الشهير بابن أبي طي ، آية الله الكبرى في العلوم والفنون والآداب والشعر والتاريخ . صنف كتاباً أسماه «معادن الذهب في تاريخ حلب» . وهو غير معادن الذهب لأبي الوفاء العربي المطبوع . وله كذلك «أخبار الشعراء الشيعة» مرتب على حروف الألف باء ، و«مناقب الأئمة الإثني عشر» و«سلك النظام في تاريخ الشام» وغيرها . توفي في حلب سنة ٦٣٠هـ .

كان يخرج كل يوم يرعى غنمه . فاتفق أن نام يوماً بعد صلاة الظهر في المكان الذي بنى فيه المشهد ، فرأى كأن رجلاً خرج نصفه من شقيف الجبل المطل على المكان ، ومدَّ يده إلى أسفل الوادي ، وأخذ عنزاً . فقال له : يامولاي لأي شيء أخذت العنز وهي ليست لك ؟ فقال له قل لأهل حلب يعمروا في هذا المكان مشهداً ويسموه مشهد الحسين . فقال : إنهم لا يرجعون إلى قولي . فقال : قل لهم يحفروا هناك . ورمى بالعنز من يده إلى المكان الذي أشار إليه . فاستيقظ الراعي ورأى العنز قد غاصت قوائمها في المكان . فجذبها فظهر الماء .

فدخل حلب ووقف على باب الجامع القبلي ، وحدَّث بما رأى . فخرج جماعة من أهل البلد إلى المكان الذي ظهرت فيه العين ، وهو في غاية الصلابة لاتعمل فيه المعاول . وكان فيه معدن النحاس قديماً ، فخطُّوا المشهد المذكور . ثم أردف يقول : «وتولى عمارته الحاج أبو النصر بن الطباخ ، وكان ذلك في أيام الملك الصالح بن الملك العادل نور الدين . وكان الأمير محمود بن الختلو شحنة حلب[2] ، فساعدهم في بنائه . ولما شرعوا في البناء جاء الحائط قصيراً فلم يرض بذلك الشيخ إبراهيم بن شداد ، وعلاّه من ماله الخاص . وتعاضد الناس في البناء ، فكان أهل كل حرفة يفرض على نفسه عمل يوم . وفرض أهل الاسواق عليهم دراهم تُصرف في المؤونة والكلف .

وبنى الإيوان الذي في صدره الحاج أبو غانم ابن سويق من ماله ، فجاء قصيراً ، فهدمه الرئيس صفي الدين طارو بن علي النابلسي[3] ، ورفع بناءه وانتهت عمارته «عام ٥٨٥هـ» .

ولابد هنا من وقفة نناقش فيها ماذكر حول سبب البناء ، والزمن الذي ظهر فيه . فلقد أحاط إبن أبي طي ظهور البناء بهالة هي أقرب إلى الأسطورة منها إلى العرض الموضوعي . ولعله أراد بذلك الخبر تحريك مشاعر الناس وإثاره حماسهم حوله والإهتمام به . ناسياً أن المؤمنين في كل زمان يتسابقون إلى مرضاة الله تعالى بفعل الخير ، وبعفويّة تسمو عن كل تفكير مادي يضعف مثوبتهم . فمن الطبيعي أن نراهم ـ مع مسيرة التاريخ ـ يتدافعون ويتسابقون لمدِّ يد العون في كل عمل ذي صبغة دينية ، تقرّباً إلى الله . لذلك رأينا فئات الشعب من تجار وحرفيين يسهمون في إعمار هذا المكان المقدس وترميمه والإنفاق عليه ماوسعهم إلى ذلك سبيلا . ومما لاشك فيه أن مراحل البناء الأولى ـ الجديدة ـ ترجع إلى العمل الذي جرى في عهد الملك الصالح إسماعيل ، فهو الذي أمر بتوسيعه وترميمه كما سنبين .

ويستطرد الغزي في عرضه لتاريخ البناء فيقول : «أنفق عليه صلاح الدين الأيوبي عشرة آلاف درهم . وأوقف له الملك الظاهر غازي عقارات بلغت وارداتها ستة آلاف درهم . وفوّض تصريف أموره وإدارة أوقافه إلى نقيب الأشراف الإمام شمس الدين بن أبي علي الحسين والقاضي بهاء الدين بن أبي محمد الحسن ابن إبراهيم بن الخشاب . وفي عهد الملك العزيز محمد (٦١٣ـ٦٢٤هـ) إستأذن القاضي بهاء الدين بن الخشاب في بناء حرم إلى جانبه ، وبيوت يأوي إليها طلبة العلم والمنقطعون للعبادة . وقبل إتمام هذا المشروع دخلت جيوش

(٢) كانت ولادته سنة ٥٤٩ ، ولم أقف على تاريخ وفاته .

(٣) كان صفي الدين آنئذٍ رئيس حلب . ولعل وفاته كانت سنة ٦١٣هـ . وكان أخوه ولي الدين أبو القاسم رئيس المدينة .

التتار مدينة حلب سنة ٦٥٨ هـ ونهبوا جميع محتويات المشهد من سجاد وتحف وقناديل من الذهب والفضة ، وحطّموا كذلك أبوابه ونوافذه . وتوقف المشروع بعد ذلك إلى حين .

ولما ملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠ هـ ـ وكان يحب حلب ـ جدده ورمّمه وأعاد إليه نشاطه الديني والثقافي والإجتماعي . واستمر في أداء رسالته حتى سنة ١٣٠٢هـ = ١٨٨٥م . حيث أبدى السلطان عبد الحميد إهتماماً خاصاً به ـ إرضاء لسكان حلب المسلمين ـ فجدّد الجهة الشمالية من القبلية ، وأهدى محرابه ستاراً حريرياً مزركشاً بآيات قرآنية . وجدّد ترخيم أرض ضمن المشهد، وفرش القبلية بالطنافس ، ورتب له إماماً ومؤذناً وخادماً وموظفين يقرؤون كل يوم أجزاء شريفة من القرآن ، والنفقة على ذلك كله من حساب أملاك السلطان بحلب . ولكن الإهمال إعترى المكان إثر الإنقلاب الدستوري العثماني .

وفي ١٣١٢=١٨٩٤م عاد الإهتمام به ثانية ، فوضع فيه منبر خشبي جميل ، وجرت فيه خطبة الجمعة والعيدين . واستمرت إقامة الشعائر فيه حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ـ ١٩١٨ ، حيث أبطلت فيه جميع الشعائر الدينية والإحتفالات بسبب تحويله إلى مستودع للذخيرة من قبل الأتراك الإتحاديين ، مما سبب له الدمار الشامل عند انسحابهم من حلب يوم الجمعة ٢٠ محرم ١٣٣٧هـ =١٢ تشرين الأول ١٩١٨ ويحدثنا الغزي عن هذا اليوم فيقول: «هجم عليه جماعة من رعاع الناس وغوغائهم ونهبوا مافيه من الذخائر والسلاح . وبينما كان بعض أولئك الغوغاء يعالج قنبلة لاستخراج مافيها من بارود إنفجرت وأتت على البارود المتجمع أمامه ، وسرت فيه النار بأسرع من لمح البصر إلى غيرها من الأعتدة النارية ، فانفجرت جميعها إنفجار بركان عظيم ، أحدث دوياً هائلا كهزيم الرعد القاصف إهتزت له المدينة ، وتحطم زجاج النوافذ فيها ، وتطايرت أحجار البناء الفخمة في الهواء إلى مسافات بعيدة ، وسقط بعضها على من فيه من الذعّار والشطار فهلكوا عن آخرهم . ويقدر عددهم بثلاثين إنسان تقريباً بات المكان بعدها مزقا محطمة وأطلالا خاوية» .

لم يكن وجود مشهد الإمام الحسين بحلب مقتصراً على الإحتفالات الدينية والمناسبات التاريخية ، بل كان إلى جانب ذلك مركز إشعاع للعلم والمعرفة ، يقصده الناس لينهلوا من موارد العلم الصافية مايطفىء تعطشهم الى العلم والمعرفة ، وكان يتردد عليه ويلتقي فيه أكثر من عالم ومجتهد لكلٍ مقره ومحرابه ، يتعبد فيه ويلقي دروسه على رواد العلم وقد ذكر الغزي في كتابه «نهر الذهب» عند الحديث عن الشيعة في قرى ولاية حلب نُبّل والفوعة وكفريا قوله : «وفيهم علماء يسافرون في طلب العلم إلى بغداد ومشهد الحسين» .

أما الإحتفالات التي كانت تقام فيه فأهمها إحتفال يوم عاشوراء . . وكان الناس يخرجون في هذا اليوم إلى المشهد حيث تقام وليمة حافلة يحضرها الوالي ومن دونه ، فيتلى شيء من القرآن الكريم وصحيح البخاري وقصة المولد النبوي وتنشد مرثية ابن معتوق في سيدنا الحسين التي أولها :

هل المحرم فاستهل مكبرا
وانثر به درر الدموع على الثرى

ثم يأكل الجميع وينصرفون . . وفي اليوم السابع والعشرين من شهر رجب يخرج الناس إلى المشهد المتقدم ذكره ، ويخرج الوالي ومن

دونه ، وتعطل الحكومة . فيسمعون فيه قصة الإسراء والمعراج ويُسقون الشراب ويطعمون الحلوى وينصرفون . وكانت النفقة في ذلك تصرف بواسطة الخزينة السلطانية الخاصة التي تجبى غلات القرى الموقوفة عليه ، وهي : أبو الهويل وكفر هرارة ودلامة ، ولما صارت هذه القرى مضبوطة[٤] للخزينة المالية كانت النفقة المذكورة تنفق في بيت المال[٥] .

وقد أحيط المشهد بأبنية وبساتين مشهورة كبستان الشريطي تجاه بابه ، وفيه دولاب وغرّاف وناعورة وعدّان[٦] . وفي الجهة الجنوبية منه بستان الدبس ، وشرقاً نهر قويق والجزيرة بالإضافة إلى الأبنية التي كانت على رأس جبل الجوشن أهمها عمارة عبد القادر بن طه بن عباس (الجبلي) أحد أعلام حلب المتوفي سنة ١٣٣٨هـ = ١٩١٩م .

وكثيرون هم الذين كانوا يقدمون الهدايا والهبات للمشهد بدءاً من السلطان ، وحتى عامة الناس . ويذكر الطباخ في الجزء الخامس من تاريخه أن نور الدين الصابوني المتوفي سنة ٩٤٥هـ ١٥٣٨م كان يرسل إلى المشهد القناديل الفضة وغيرها . وهناك العديد من الأوقاف من قبل الملك الظاهر غازي ونور الدين محمود ، ولأحد بهاء الدين الزهراوي أوقاف للجامع الكبير ومشهد كربلاء ومشهد الحسين مؤرخ عام ١٠٦٦هـ = ١٦٥٥م .

وإلى الجنوب من المشهد يوجد مقبرة صغيرة مربعة الشكل هي مقبرة بني الزهراء حيث دفن فيها أبو المكارم حمزة الإسحاقي الحسيني نقيب السادة الأشرف وأحفاده من بعده . وكذلك دفن جانب المشهد محمد بن علي المازندراني المعروف بابن شهراشوب ، وكذلك يحي بن حميدة وأحمد بن منير الطرابلسي والأديب الذي كتب على قبره :

من زار قبري فليكن مؤقناً
ان الذي ألقاه يلقاهُ
فيرحم الله امرءاً زارني
وقال لي : يرحمك الله

إلى جانب آخرين منهم : عمر بن إبراهيم الرهاوي خطيب الجامع الأموي ، ونصر الله الخلخالي الشافعي مدرس المدرسة العصرونية . . الخ .

الكتابات :

أول مايطالعك من الكتابات كتابة المدخل وهي بالقلم الثلث ونصُّها :

١ ـ بسم الله الرحمن عمر مشهد مولانا الحسين بن علي بن أبي طالب .

٢ ـ عليهما السلام في أيام دولة مولانا الملك الظاهر العالم العادل سلطان الإسلام .

٣ ـ والمسلمين سيد الملوك والسلاطين أبي المظفر الغازي بن الملك الناصر يوسف إبن أيوب .

٤ ـ ناصر أمين المؤمنين في شهور سنة وست وتسعين .

٥ ـ وخمسماية

وفوق هذه الكتابة ثلاثة مقرنصات كتب عليها :

٢ ـ اللهم صلِّ على سيدنا محمد وسلم

٢ ـ ورضي الله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي

٣ ـ ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين

(٤) مضبوطة : أي محولة إلى مديرية الأوقاف ، هي تهتم بشؤونها .

(٥) الغزي : نهر الذهب ج١ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٦) توقيت خاص لتوزيع المياه على البساتين المجاورة .

وعلى جانبي المدخل من اليمين والشمال كتب بالخط الثلث مايلي :

على اليمين : بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم صلِّ على محمد النبي وعلى الوصي والحسن المسموم والحسين الشهيد المظلوم وعلى زين العابدين ومحمد الباقر علم الدين وجعفر الصادق والأمين .

وعلى اليسار : وموسى الكاظم الوفي وعلى الطاهر الرضي ومحمد البرالتقي وعلى الهادي النقي والحسن العسكري وصاحب الزمان الحجة المهدي . واغفر لمن سعى بهذا المشهد بنفسه ورأيه وماله .

وفي أعلى إيوان المشهد كتب بالخط الثلث في سطرين مايلي :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد المصطفى وعلى المرتضي وفاطمة الزهراء والحسن المجتبي والحسين الشهيد وعلى زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق .

٢ ـ وموسى الكاظم وعلى الرضا ولد الجواد وعلى الهادي والحسن العسكري ومولانا محمد إبن الحسن القائم بأمر الله تعالى .

وكتب فوق المحراب :

صنعة أبي عبد الله وأبي الرجاء إبني يحي الكتاني رحمهما الله .

هذا ، وقد ذكر المؤرخون وجود كتابة في صدر الإيوان لم نعثر عليها ، وتنص على ذكر اسم المتبرع ببناء الإيوان وأسمه أبو الفضل عيسى البزاز . إلا أننا وجدنا مؤخراً حجرة صغيرة كتب عليها ـ بعد البسملة : «تبرع بعمل هذه العبد الفقير إلى الله تعالى أبو الحسن البزاز ابن معالي التباري رحمه الله» وقد يكون هو حجر الإيوان ، وإن الإسم الذي ذكره المؤرخون خطأ .

حماسة الحسين(ع) في ميدان الشهادة

أنا ابن علي الخير من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدّي رسول الله أكرم من مضى ... ونحن سراج الله في الأرض نزهر
وفاطمة أمي ابنة الطهر أحمد ... وعمي يُدعى ذو الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أُنزل صادعاً ... وفينا الهدى والوحي بالخير يُذكر
ونحن أمان الله في الخلق كلهم ... نُسِرُّ بهذا في الأنام ونجهر
ونحن ولاةُ الحوض نسقي مُحِبّنا ... بكأس وذاك الحوض للسقي كوثر
فيسعدُ فينا في القيام مُحِبُّنا ... ومُبغِضُنا يومَ القيامة يخسَرُ